ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

هل يزيد انسحاب بايدن إمكانية نشوب الحرب الواسعة في المنطقة؟

شارل أبي نادر

كل المعطيات الميدانية والعسكرية التي تحيط بالمواجهة في غزّة مع جبهات إسنادها، تؤشر إلى أن لا مخارج جدية للحرب الدائرة حاليًا بين العدوّ «الإسرائيلي» من جهة ومحور المقاومة من جهة أخرى، بل على العكس من ذلك، فإن إمكانية جنوح أطراف الصراع إلى مواجهة واسعة في المنطقة، لم تعد بعيدة، لا بل تتعزز يومًا بعد يوم إمكانية نشوبها، خاصة في ظل التعنت «الإسرائيلي» والاستمرار بسياسة الإبادة الجماعية دون تراجع، مقابل ثبات في مواقف أطراف محور المقاومة بمواجهة العدوان الصهيوني غير المسبوق تاريخيًا.

صحيح أن الحرب على غزّة هي محور الصراع اليوم، ووقفها سيكون حتمًا مدخلًا لمنع امتدادها وتوسعها، ولكن تبقى التأثيرات المباشرة لتوسع هذه الحرب محدودة، الأمر الذي برهنته التطورات العسكرية والميدانية خلال عشرة أشهر من المواجهة في غزّة، على عكس أي تطوّر للمواجهة على إحدى جبهتي الإسناد من لبنان ومن اليمن، أو على الاثنتين معًا، واللتين أصبحتا جاهزتين لتكونا الشرارة المناسبة للانفجار الواسع، حيث استطاعت كلّ من الجبهتين، أن تفرض على العدوّ «الإسرائيلي» معادلات جديدة لم يكن يتوقعها، في الأسلحة النوعية أو في إدارة المعركة أو في مستوى الاستهداف، وبالتالي، بعد أن فرضتا على العدوّ التخلي عن عناصر الردع التي كان يعتبر أنها تحصن احتلاله وتحميه.

ولكن عمليًا، ورغم قدرة تأثير تطوّر جبهتي إسناد غزّة من اليمن ومن لبنان نحو الحرب الواسعة، يبقى هناك عامل مانع بنسبة معينة، ويمكن أن يكون ضابطًا معقولًا لعدم توسع الحرب، وهو موقف الإدارة الأميركية، والتي تعتبر الراعي الفعلي الذي يقود عمليًا حرب العدوّ على الشعب الفلسطيني. وموقف هذه الإدارة الفاصل لحصول أو عدم حصول الحرب الواسعة في المنطقة، يرتبط طبعًا بصاحب القرار الفعلي في واشنطن، مع بقائه مرتبطًا بمسار العمليات العسكرية والمواجهات على الجبهة اليمنية مع العدوّ أو على الجبهة اللبنانية مع العدو.

لناحية المعركة مع اليمن، والتي كان ولا زال - قبل انقضاض مسيّرة «يافا» على «تل أبيب» - تدور رحاها في أغلب الساحات البحرية في المنطقة، فقد توسعت لتصبح - بعد مسيّرة «يافا» - في عقر دار عاصمة الاحتلال، «تل أبيب»، ولتتحول معركة استراتيجية بمستوى متقدم وخطير، في حين أن موقف الإدارة الأميركية يبقى ضدّ توسع الحرب في تلك الساحات التي لها طابع دولي بامتياز، والتي تتجاوز تأثيراتها «إسرائيل» ومصالحها إلى المصالح الدولية والغربية تحديدًا.

لناحية المعركة مع حزب اللّه، فإن مستوى ما وصلت له مؤخرًا لناحية إفقاد العدوّ «الإسرائيلي» أغلب عناصر الردع التي كانت تُوازن موقعه العسكري على جبهته الشمالية، والضغوط التي تفرضها عليه هذه الجبهة، داخليًا وعسكريًا وشعبيًا، بدأ يدفعه نحو التفكير بالانزلاق إلى توسيع المواجهة، ليبقى أيضًا موقف الإدارة الأميركية جاهزًا لضبط «إسرائيل» ولجمها، بسبب تأثيرات هذه الحرب لو توسعت على كامل منطقة شرق المتوسط وغرب آسيا، ولوجود كثير من الهواجس والمخاوف الجدية لدى هذه الإدارة، بأنها لن تكون بتاتًا لمصلحة الكيان المحتل.

والأهم في الأمر، أن أي مواجهة واسعة بين «إسرائيل» مع اليمن أو مع لبنان أو مع الاثنين معًا، أصبح واضحًا أنها سوف تتطور حتمًا وتؤدي لتدخل إيراني، ليكون هنا دور واشنطن أساسيًا وضروريًا لمساعدة «إسرائيل»، وتجربة الرد الإيراني على «إسرائيل» في منتصف نيسان/إبريل الماضي، ما زالت تداعياتها مخيّمة على حاجة الأخيرة الإجبارية لقدرات واسعة من الدفاع الجوي ومن التنسيق والمعلومات الجوية الأميركية والغربية.

كل هذه المعطيات أعلاه، تجعل أي جنوح «إسرائيلي» نحو مواجهة واسعة يتطلب حتمًا موافقة رسمية أميركية، وهذا يفرض الارتباط بين من هو على رأس الإدارة الاميريكة وبين انخراط «إسرائيل» في حرب واسعة في المنطقة؛ وهنا يمكن الإشارة إلى الاحتمال الأكبر أن تحصل هذه المواجهة قبل الانتخابات الرئاسية الأميركية.

في هذا الإطار، صحيح أنه من وجهة نظر الكثيرين، توجد خلافات أساسية بين نتنياهو وبين إدارة بايدن حاليًا، حيث ظهرت هذه الخلافات في أكثر من جانب، أغلبها له علاقة - ظاهريًا فقط - بالحرب «الإسرائيلية» على غزّة وتحفظات الأميركيين الخادعة، طبعًا، لناحية استهداف المدنيين أو لناحية الهجوم على رفح - واليوم على خان يونس أيضًا - أو لناحية تضييق الخناق الحياتي والإنساني على القطاع، ولكن عمليًا، لم تكن هذه الخلافات أو التحفظات مانعًا جوهريًا من حصول إبادة جماعية على الشعب الفلسطيني، ولم تكن وسيلة لإدخال مساعدات كافية بالحد الأدنى لغزّة، فقط كانت خلافات وتحفظات إعلانية إعلامية سياسية، في الوقت الذي تابعت فيه «إسرائيل» تنفيذ أعمالها المشينة وجرائمها بنفس المستوى والقدر من الوحشية، كما لو لم تكن موجودة هذه التحفظات الأميركية.

هذا يعني، عمليًا، أن قرار «إسرائيل» نحو مواجهة واسعة، يحظى حاليًا، عمليًا وفعليًا، بموافقة بايدن، خاصة أن الأخير وبعد تنحيه مرغمًا عن الترشح للانتخابات الرئاسية، والتأثيرات السلبية المرتقبة لهذا الأمر على حظوظ الديمقراطيين بالرئاسة، قد يكون بحاجة لصدمة دولية تحول الأنظار خارج الولايات المتحدة الأميركية، لتكون الحرب في الشرق الأوسط وإظهار الخطر على «إسرائيل»، الرافعة الإعلامية والسياسية والشعبية لدعم رئيس يساند «إسرائيل» ويحمي وجودها.

من ناحية أخرى، صحيح أن الناخب الأميركي يركز على الضرائب والبطالة والتضخم والحدود مع المكسيك والرعاية الصحية وأمور داخلية أخرى، أكثر من السياسة الخارجية الأميركية، ولكن للأخيرة تأثير قوي على اهتمامات الناخب الأميركي المذكورة أعلاه، خاصة أن الحروب وتمويلها ونشر الوحدات بعيدًا عن البلاد والاشتباك الاستراتيجي مع الصين أو روسيا أو إيران... الخ. كلها ترتبط بخلق وضع اقتصادي واجتماعي داخلي متوازن أو غير متوازن، لتفرض عبر هذا الارتباط التأثيرات المطلوبة على الناخب الأميركي، في طريق تحديد رأس الإدارة الذي يرعى ويقود كلّ السياسات الأميركية الخارجية والداخلية.

ولأن دونالد ترامب، المرشح الجمهوري القوي المنافس للديمقراطيين، رغم إظهار دعمه الواسع لـ«إسرائيل»، وربما هو غير بعيد عن دعم نتنياهو أيضًا، أعلن صراحة أنه سوف يعمل جاهدًا على وقف نزيف الحروب التي خلقها وقام بها بايدن، ولأن ترامب لن يسمح لـ«إسرائيل» في إدخال منطقة الشرق الأوسط في حرب واسعة، في الوقت الذي ينادي بقوة لوقف الحرب بين روسيا والناتو في أوكرانيا، سوف يحاول كلّ من بايدن ونتنياهو استغلال الفرصة الأنسب قبل الانتخابات الرئاسية الأميركية، لدفع المنطقة والعالم نحو حرب واسعة، يكون فيها للاثنين، مخرج للهروب إلى الأمام.

صنعاء مقابل تل أبيب وحيفا مقابل الحديدة

كانت إغراءات استبدال حرب مستحيلة على لبنان بغياب الانخراط الأميركي المباشر، والمستحيلة على أميركا لخطورة الانخراط المباشر، بحرب بدت ممكنة على اليمن في ظل انخراط أميركي مباشر قائم أصلاً، هي الدافع لقيام بنيامين نتنياهو بإعطاء الأوامر لشن عدوان على ميناء الحديدة وإشعال خزانات النفط وضرب محطة كهرباء.

أسباب كثيرة شجّعت نتنياهو على خيار شراء الحرب على اليمن كبديل للحرب على لبنان، منها مضمون التفسير الأميركي لأسباب السعي لتفادي الحرب مع لبنان، مقارنة بالمشاركة الأميركية في التصدّي للرد الإيراني، وجوهرها الجغرافيا، جغرافيا الانتشار الأميركي في منطقة وسط بين إيران وفلسطين من جهة بعكس حالة لبنان وفلسطين، وطول المسافة بين إيران وفلسطين مقارنة بلبنان وفلسطين اللصيقتين. وفجأة اكتشف نتنياهو أن ما ينطبق على إيران ينطبق على اليمن، وأن القدرة الأميركية الإسرائيلية المشتركة تتيح إسقاط ٩٠٪ من الرؤوس المتفجرة الآتية من اليمن نحو جغرافيا فلسطين المحتلة، والاستثمار الإعلامي على مكانة اليمن في محور المقاومة لالتقاط صورة النصر الذي يبحث عنه.

دقق العسكريون الإسرائيليون والأميركيون بالفرضية فظهر لهم، أن اليمن أولاً كشعب وقيادة عاش حرب تدمير ممتدة لتسع سنوات، ولن يضيف نتنياهو على هذا التدمير الكثير، وان اليمن ثانياً موحّد كشعب وقيادة على اعتبار الحرب من أجل فلسطين، هي أكثر الحروب

قدسية، وأن تحمل اليمن للتضحيات للفوز بجائزة تدمير مدن واقتصاد الكيان يستحق هذه التضحيات، وثالثاً أن اليمن يرضى بوصول ١٠٪ من إطلاقاته من الطائرات المسيرة والصواريخ وهو مستعد لرفع عدد الإطلاقات حتى تصبح الـ ١٠٪ كافية على الأقل لتدمير تل أبيب مقابل استهداف صنعاء، وتدمير حيفا ميناء وخزانات نفط ومحطات كهرباء مقابل استهداف الحديدة، ورابعاً أن ما فعلته إيران لمرة يمكن لليمن أن يفعله مئة مرة، وأن دخول العراق الى جانب اليمن في هذه الإطلاقات سوف يجعل قدرة الكيان على التعامل مع النيران أضعف، وقدرته على تحمل نتائج حرب التدمير أقلّ بكثير.

فجأة كان على العسكريين تذكير نتنياهو بأن العبرة الأهم من تجربة الرد الإيراني والتعامل الأميركي معه، ليست في التصدّي للوجبة الأولى بل في رفض الذهاب الى ردّ على الردّ، لأن رداً آخر سوف يأتي وتكون النتيجة وبالاً وكارثة مؤكدة واستدراجاً لحرب تدمير ليس الكيان فيها في وضع القادر على التحمّل، وكما التزم نتنياهو بأوامر واشنطن بعدم الردّ على الردّ، عليه الآن البحث عن الاتفاق مع غزة لوقف مسلسل استنزاف خطير تبشّر به حرب المدن مع اليمن، طالما أن اليمن يقول إنه سيتوقف عن إطلاق النار إذا تمّ التوصل إلى اتفاق في غزة.

طائرة يافا شريك في خطاب نتنياهو في الحديث عن قرب التوصل إلى اتفاق في غزة، وهذا ما أراده اليمنيّون، لكن الرد على غارات الحديدة آتٍ لا ريب فيه.

البناء

الوحشية المروعة للمنظومة العسكرية الصهيونية..دعوة للوعي العالمي

د. أروى محمد الشاعر

منذ سنوات، يشهد العالم على مشاهد مؤلمة ومروعة في الأراضي الفلسطينية سواء في الضفة الغربية والقدس الشرقية والحصار والإبادة الجماعية في غزة، حيث أثارت الأعمال الوحشية التي ترتكبها المنظومة العسكرية الصهيونية مخاوف جدية بشأن الإنسانية والأخلاق. تتطلب الحسابات والصور المزعجة للمدنيين الأبرياء، وخاصة الأطفال، الذين يُقتلون ببرودة وتجاهل تام، دراسة أعمق للتأثيرات النفسية والاجتماعية لمثل هذا العنف.

شهد النضال المستمر للشعب الفلسطيني ضد المحتلين الصهاينة تورط المنظومة العسكرية الصهيونية في أعمال وحشية شديدة ضد المدنيين الفلسطينيين. تكشف التقارير والشهادات نمطاً مروعاً من السلوك يشير إلى نزع الإنسانية العميق من قلوب هؤلاء الغاصبين المجرمين، وذلك عندما يستطيع الجنود التفاخر بقتل الأطفال والرضع، كما قال أحد الجنود لخطيبته، بأنه قتل طفلة صغيرة عندما لم يجد رضيعًا ليقتله. إن هذا يبرز تآكلًا مرعبًا للإنسانية والحكم الأخلاقي.

فكم من مشاهد حية من العنف والقتل والوحشية نراها تتكرر كل يوم في غزة. طفل يُطلق عليه النار بدم بارد، والد يركض حاملاً ابنته التي لم تتجاوز الرابعة من عمرها، جرحها ينزف بشكل لا يمكن وقفه، وقلبه ينهار أمام عجزه عن إنقاذها، وأم ثكلى تودع أطفالها الذين استشهدوا راكعة فوق جثامينهم، وطفل آخر بلا رأس، ومئات من الأطفال تملأ الدماء والجروح أجسادهم يصرخون مستغيثين من أجل مساعدتهم على آلامهم التي لا تحتمل. هذه ليست مجرد قصص، بل مأساة وحقائق يومية وإبادةً جماعية يعيشها الفلسطينيون تحت هذا القتل والتشريد المروع. الأطفال الذين كانوا يلعبون في الشوارع، يجدون أنفسهم فجأة تحت وابل من الرصاص وتحت الأنقاض، دون ذنب أو جرم ارتكبوه سوى أنهم وُلدوا في فلسطين.

لقد وصلت وحشية المنظومة العسكرية الصهيونية إلى مستويات غير مسبوقة، حيث يهاجم الجنود جميع المستشفيات، ويجبرون الجرحى وحتى مرضى العناية الفائقة على الخروج منها لإعدامهم في مقابر جماعية بجانب المستشفيات. لم يقتصر الأمر على ذلك، بل شمل قتل الأطباء والممرضين والمسعفين.

رغم كل هذه الفظائع، يظهر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بوقاحة على شاشات التلفزيون ليقول بأن الجيش الإسرائيلي هو أكثر جيش أخلاقية وإنسانية في التاريخ، رغم ممارسة جيشه الصهيوني سياسة الأرض المحروقة، التي تعتبر من أقسى أنواع القمع، من تدمير وإتلاف كل المصادر الهامة للسكان المدنيين من أراضي زراعية، وموارد طبيعية، وطعام، ومأوى ، ومستشفيات، ومدارس، وجامعات، واتصالات... إلخ. يظن هذا المجرم بأنه يمكنه تضليل وخداع الرأي العام العالمي، ولكن الواقع يظهر عكس ذلك، حيث خرجت الجماهير في جميع أنحاء العالم لمناصرة حقوق الشعب الفلسطيني وإدانة الإبادة الجماعية والتطهير العرقي الذي يمارس بحق الشعب الفلسطيني صاحب الأرض الأصلي. إن انتهاكه للقوانين الدولية يتم تحت غطاء ممارسة الولايات المتحدة الأميركية "سياسة النعامة" مع المستعمرة الصهيونية، مما يعزز من ارتكابه لهذه الجرائم دون رادع.

نحن نعيش في عصر تتجاوز فيه وسائل التواصل الاجتماعي الحدود الثقافية والسياسية، مما يخلق تجربة عالمية مشتركة. هذا الوعي الجمعي الآن مشبع بالصور والفيديوهات للعنف والمعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني. على عكس الماضي، حيث كانت هذه الأحداث محلية، فإن الفظائع اليوم تُبث على نطاق واسع، مما يؤثر على الناس بعيدًا عن مناطق الصراع المباشرة.

أحد أكثر العواقب المقلقة لهذا التعرض المتكرر هو احتمال فقدان الحساسية تجاه العنف. عندما نواجه مرارًا صور الموت والدمار،

هناك خطر أن نبدأ في رؤية هذه الأحداث كأمر طبيعي. يمكن أن يؤدي هذا الفقدان للحساسية إلى انخفاض قيمة الحياة البشرية وانخفاض الشعور بالتعاطف، مما يجعل هذه الأعمال تبدو شبه روتينية ويجردنا من القدرة على الرد والعمل اللازمين.

لا يمكن التغاضي عن العمليات النفسية التي تجعل الجنود وقادتهم الصهاينة قادرين على ارتكاب مثل هذه الفظائع، والتي يتم من خلالها تغيير وتشكيل أفكارهم ومشاعرهم وسلوكياتهم بطريقة تجعلهم قادرين على ارتكاب أعمال وحشية دون تردد أو شعور بالذنب. هذا التكييف يتم عبر مجموعة من العوامل التي تشمل التدريب العسكري، الإيديولوجيا، والتأثير الثقافي الذي يمجد العنف ضد الفلسطينيين ويصوره كعمل بطولي أو ضروري، يصبح فيها قتل الفلسطيني ليس مقبولاً فحسب، بل شيئًا يمكن التباهي به.

هذه العملية من نزع الإنسانية تجرّد هؤلاء القتلة من عواطفهم، وتحولهم إلى أدوات للعنف والقتل المبرر.

إن للوحشية التي تظهرها المنظومة العسكرية الصهيونية آثار بعيدة المدى. فهي تتحدى معتقداتنا الأساسية حول الإنسانية والأخلاق. إذا كان الجنود قادرين على قتل الأطفال والتحدث عن ذلك بدون ندم، فماذا يقول هذا عن القيم والأخلاق التي يتحلى بها أصحاب السلطة؟ إذا تُركت هذه الأفعال دون رادع ودون تحدي، فإنها تخاطر بتطبيع العنف الشديد وتقويض نسيج المجتمع الأخلاقي.

من الضروري أن يعترف المجتمع الدولي بهذه الأفعال ويدينها بشكل لا لبس فيه. الصمت والتقاعس يعتبران تواطؤًا في استمرار دورة العنف هذه. يجب على المهنيين الصحيين النفسيين، وعلماء الاجتماع، والمدافعين عن حقوق الإنسان أن يتحدوا لمعالجة الأضرار النفسية التي تلحق ليس فقط بالضحايا وأسرهم، ولكن أيضًا بالجنود أنفسهم الذين يتم تكييفهم لرؤية الوحشية كأمر طبيعي. هناك حاجة إلى البحث والمناقشات المفتوحة لفهم الأثر الكامل على كل من الأفراد والمجتمع ككل. من خلال إظهار هذه القضايا، يمكننا البدء في تطوير استراتيجيات للتخفيف من الآثار السلبية وتعزيز الشفاء.

إن أشخاص مثل إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، وهم من القياديين في إسرائيل، لا يكتفون بالتحريض على العنف بل يتعدونه إلى تشجيع قتل الفلسطينيين بوحشية. هؤلاء القادة يصفون الفلسطينيين بالحيوانات ويدعون علناً إلى قتل الأطفال والنساء والشيوخ. كما يدعمون بناء المزيد من المستوطنات على أراضي الضفة الغربية بعد هدم منازل الفلسطينيين، ويسلحون المستوطنين الذين جاؤوا من مختلف أنحاء العالم لتشجيعهم على قتل الفلسطينيين. ولا يقتصر تحريضهم على ذلك، بل يستندون إلى أوهام دينية مزيفة مستمدة من التلمود، الذي يعتبر كل البشر حيوانات وُجدوا في شكل إنسان لخدمة اليهود الذين يعتبرون أنفسهم فوق كل البشر. إن خطاب الكراهية والتحريض هذا يشكل خطراً كبيراً على المجتمع الدولي، ويدفع الجنود الإسرائيليين إلى ارتكاب المزيد من الفظائع بدم بارد، غير مبالين لعواقب أفعالهم، مما يعزز ثقافة القتل والكراهية ويفاقم من دوامة العنف.

إن معالجة الوحشية التي ترتكبها المنظومة العسكرية الصهيونية تتطلب حوارًا مفتوحًا وصادقًا، خالٍ من التحيز السياسي. يجب على العالم الانخراط في مناقشات صريحة حول الأبعاد الأخلاقية لهذا العنف وتأثيره طويل الأمد على كل من الضحايا والجلادين.

كمجتمع عالمي، يجب أن نواجه هذه الأعمال الوحشية بشكل مباشر. نحن بحاجة إلى تعزيز ثقافة التعاطف واحترام الحياة البشرية، وضمان أن هذا العنف المجرد من الإنسانية لا يتم قبوله أو تطبيعه أبدًا. يبدأ ذلك بمحاسبة المسؤولين وإعطاء الأولوية للصحة النفسية وإنشاء أنظمة دعم لأولئك الأطفال الذين تأثروا بمشاهد القتل والعنف وفقدان ذويهم. من خلال الاعتراف الكامل بوحشية المنظومة العسكرية الصهيونية تجاه المدنيين الفلسطينيين والمطالبة بالعدالة، يمكننا أن نبدأ في إعادة بناء ضميرنا الجماعي. هذه ليست مجرد دعوة للعمل السياسي بل هي نداء لاستعادة الإنسانية والأخلاق في وجه الظلام الدامس. فقط من خلال ذلك يمكننا أن نأمل في خلق عالم تُقدّر فيه كل حياة، ويسود فيه السلام والعدالة.

أختم مقالتي بقول رسول اللّه محمد صلى اللّه عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر اللّه. وهم كذلك"، قالوا: يا رسول اللّه وأين هم؟ قال: "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس".

وهذا هو شعب فلسطين البطل، شامخ كالجبل الراسخ، لا تهزه الرياح العاتية، ولا يضره من خالفه. على الرغم من المصاعب والأذى الذي أصابه، يبقى متمسكًا بهدفه النبيل في مواجهة المحتل. سيظل يناضل بشجاعة وإصرار وعزم لا يلين، وستظل غزة، التي تعرضت لأبشع أشكال الإبادة الجماعية، رمزًا للتحدي والصمود . كما ستظل أهمية القدس ومكانتها الخاصة مركزاً للقوة والثبات حتى بزوغ فجر النصر.